اتفق العلماء على مصادر ثلاثة للجنس البشري وان اختلفوا حول أصولها فهناك من يرتضي التقسيم الانثربولوجي ويرى وجهة النظر التالية :

أولا — الجنس الأري من الفرس والجرمان والانجليز والفرنسيين ·

ثانيا — الجنس الطوراني أو المغولي من الصينيين واليابانيين والمغول ·

ثالثا — الجنس السامي من العرب (آراميين وعبرانيين وكلدانيين وآشوريين وفينيقيين) ·

وهناك من يرتضي التقسيم اللوني ويرى وجهة النظر التالية :

أولا — الجنس الأبيض الذي يشمل الساميين والأوروبيين ·

ثانيا — الجنس الأسود والأحمر ويشمل سكان افريقية الأصليين ·

ثالثا — الجنس الأصفر ويشمل الصينيين واليابانيين والطورانيين ·

وهناك من يرتضي التقسيم الديني الذي أوردته التوراة في سفر التكوين من سلالة نوح :

ث الأصيلة للشعوب السامية

للدكتور عبد الشافي غنيم عبد القادر
أستاذ التاريخ الاسلامي بكلية التربية ـ قطر

أولا ـ أولاد يافث وهم سبعة جومر وماجوج ومداي وديوان Javan وتربال وماشك وتيراس •

ثانيا ـ أولاد حام وهم أربعة كوش ومصرائيم وكنعان وقوط •

ثالثا ـ أولاد سام وهم خمسة عليوم وآشور وأرفخشذ ولود وأرام •

ومهما يكن من أمر فان المتتبع لهذه التقسيمات يرى أنها كلها تكاد تتفق فيما بينها على الجنس السامي الذي يعتبر من أهم وأعرق هذه السلالات فيه نشأت الحضارات القديمة المعروفة وفي مقدمتها الأكدية والبابلية والآشورية والكلدانية والعبرانية والفينيقية وعلى أراضيه نبتت الديانات السماوية الكتابية وفي مقدمتها الموسوية والمسيحية والاسلام •

من العلماء من يفرق بين لفظتي « بنو سام » كما وردت في العهد القديم و « الساميون » كما عرفها علماء اللغة أو الأجناس ، فالأولى تعني الشعوب التي انحدرت من سام طبقا لما ورد في العهد القديم بينما تعني الثانية جميع الشعوب التي كانت تتكلم اللغات السامية •

وقد أطلق العرب على الساميين العرب البائدة وتعتبر عاد أولى هذه الشعوب •

ليس فقط لمجرد ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من عشر سور مكية وانما لأن آفاقها تعدت شبه الجزيرة العربية ووصلت الى مصر وبابل وسورية بل ان المؤرخ اليوناني القديم سترابون Strabo (٦٣ ـ ٦٤ ق٠م) يتحدث عن مستعمرة عربية انشأتها عاد في جزيرة أيوبيا Euboea وهي احدى الجزر القريبة من سواحل اليونان (١) ٠

وقد اختلف المؤرخون حول المنابت الأصلية للشعوب السامية وسوف نحاول في هذا البحث أن نصل الى تحقيق هذا الحدث التاريخي على مرحلتين المرحلة الأولى نناقش فيها بعض الآراء التي تناولت هذا الموضوع بوجه عام وهي في مجموعها أربعة اتجاهات افريقية وأرمينية وكردستان وبابل والجزء الأدنى من الفرات ثم بلاد العرب وبانتهاء التدليل على أن بلاد العرب بوجه عام تمثل المنبت الأصلي للعناصر السامية ننتقل الى المرحلة الثانية وفيها نناقش اي أجزاء بلاد العرب على وجه التحديد كانت المنبت الأصلي للساميين أهو وسط شبه الجزيرة العربية أم شرقها أم جنوبها وسوف نحاول في هذا البلحث الضيق أن نصل الى ما يقرب من الحقيقة في التعرف على هذه الحقيقة التاريخية مستعينين في ذلك بمختلف المصادر والمراجع الكلاسيكية والعربية والأجنبية ثم الكتب السماوية وسوف نرى الى اي حد سوف يكون الاعجاز القرآني عاملا ومؤثرا في الوصول الى حكم نهائي في هذه القضية التاريخية ٠

اولا ـ يرى بعض الباحثين أن الموطن الأصلي للعناصر السامية كان في افريقية حيث توجد السلالات الحامية ويمكن تتبعها وتمييزها وانه لا بد من أن سام شقيق حام قد عاش معه في افريقية ويدلل أصحاب هذا الرأي على صحة نظريتهم مدليلين الدليل الاول هو التشابه الواضح بين اللغات السامية من جانب واللغات المصرية القديمة واللغة القبطية ولغات البربر والكوشيين من البشارية والجلا والصوماليين وغيرهم أما الدليل الثاني فهو ذلك التشابه في الصفات الجنسية بين اليمنيين الذين يسكنون جنوب بلاد العرب من الساميين والأحباش الذين يعيشون في شرق افريقية من الحاميين وهذا يفسر لنا السبب في أن المؤرخين الأقدمين لم ينظروا الى اليمن والحبشة على انهما قطرين منفصلين ولكن تسمية لقطر واحد أطلقوا عليه أثيوبيا (٢) ٠

غير أن هذين الدليلين يمكن أن نفندهما بالقول بأن ذلك التشابه اللغوي والجنس في الجانبين ربما كان راجعا الى الهجرات التاريخية المعروفة التي قام بها الساميون من شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية في ثلاث دروب معروفة أحدهما شمالا بشرق ويتجه الى العراق والثاني من وسط شبه الجزيرة الى شمالها والثالث عبر بوغاز باب المندب الى افريقية مرورا بالصومال والحبشة وشمال السودان ومصر وشمالي افريقية وليس من شك في أن هذه الهجرات التاريخية السامية

المعروفة تاريخيا سوف تفيدنا الى حد كبير في اثبات وحدة الأرومة في الرقعة المعروفة بالعالم العربي كما تساعد الى حد كبير في توكيد النظرية الجديدة القائلة بعروبة الفراعنة من سكان مصر القديمة وانه لم يكن هناك ما يدعو الى ذلك الخلاف الفكري والحضاري بين مسلمي مصر وأقباطها حول المفاضلة بين الاتجاهين الفرعوني والعربي ما داما يمتان في النهاية الى أرومة واحدة قادمة من شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية (٣) ٠

ثانيا — يرى فريق آخر أن الوطن الاول للساميين في أرمينية وكردستان وليس هناك من دليل يساق لتعضيد هذا الرأي سوى اشارة وردت في العهد القديم تقول « كان سكان الارض جميعا يتكلمون بلغة واحدة ولسان واحد وقد حدث في أثناء رحلتهم من الشرق أن وجدوا سهلا بأرض شنعار (بابل) فأقاموا فيه ومن هنا فرقهم الله في طول الأرض وعرضها وكفوا عن بناء المدينة ومن ثم أطلق عليها اسم بابل » (٤) ٠

وهنا قد يتساءل الانسان ما الذي تعنيه التوراة بكلمة الشرق وقد حار مفسرو العهد القديم في الوصول الى اجابة مقنعة لهذا السؤال فقد يتبادر الى الذهن لأول وهلة أن المقصود بكلمة الشرق هنا أرمينية حيث يوجد جبل أراراث الذي ألقت فيه سفينة نوح مراسيها كما جاء بالعهد القديم غير أن الصعوبة هنا هي أن أرمينية لا تقع ناحية الشرق سواء بالنسبة لبابل أو فلسطين وللخروج من هذا المأزق قال البعض أن موسى كان يعيش في مصر وتقع أرمينيا الى الشرق منها بينما قال البعض الآخر أن الانسان عرف أول ما عرف الأفق الشرقي فقط والشرق هو المكان الذي تشرق منه الشمس ومن ثم أشير الى أرمينيا على أنها تقع الى الشرق ٠

غير أن التحقيق الى الأقرب الى الصحة في هذه العبارة التي وردت في العهد القديم يأتينا من مصدر هام من أقدم مصادر المعرفة في هذا الموضوع لدرجة أنهم يجعلونه تاليا في القدم للتوراة ذلك المصدر هو كتاب المؤرخ اليهودي يوسف Josephus « آثار اليهود القديمة » الذي يمكن أن يعد الى حد ما أنه تفسير للعهد القديم وقد جاء في هذا الكتاب « ان الأجناس السامية كانت تنتشر من الفرات حتى سواحل المحيط الهندي ولا يعني ذلك سوى مناطق شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية » (٥) ٠

ثالثا — يرى فريق ثالث يتزعمه كل من المستشرقين جيدي Guidi*āā* الايطالي وفون كريمر Von Kremer الألماني أن المنابت الأصلية للعناصر السامية كانت في

العراق وبالذات في بابل وقد اعتمد هذان المستشرقان في التدليل على صدق وجهة نظرهما بادلة لغوية وفيلولوجية فالمستشرق الايطالي جيدي يقول « ا نكل لغة يجب أن تتالف في بادىء أمرها من كلمات تعبر عن ضرورات الحياة الأولى وتظل هذه الكلمات متوارثة في كل فرع من فروعها ولذلك فان الألفاظ التي نجدها مكررة في جميع اللغات السامية يمكن أن تقودنا الى تعيين الموطن الأول لأصحابها واذا استرشدنا بهذا المبدأ لوصلنا الى النتيجة وهي أن الموطن الأول للساميين هو الجزء الأدنى من الفرات » (٦) ·

أما فون كريمر فقد تعرض الدكتور جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (٧) الى نظريته القائمة على دراسة أسماء النبات والحيوان في اللغات السامية وتصنيفها وتبويبها للتمكن بذلك من معرفة المسميات المشتركة والمسميات التي ترد بكثرة في أغلب تلك اللغات والتوصل بهذه الطريقة الى الوقوف على أقدم الحيوان والنبات عند تلك الشعوب واهتدى من ذلك الى جعل بابل الموطن الأصلي للعناصر السامية ·

وقد فند المستشرق نولدكه هذا الرأي بقوله :

أولا ـ ان الكلمات الشائعة التي تعبر عن ضرورات الحياة قد فنيت بتقادم العهد ·

ثانيا ـ انه افتراض تردد الألفاظ التي تعبر عن حاجات الحياة الضرورية بين ما تفرع عن اللغة الواحدة لا ينطبق على اللغات السامية التي تختلف فيها الألفاظ التي تعبر عن أمور ضرورية مثل كلمات خيمة وولد رجل وعجوز وما اليها هذا الى جانب أن هذه الألفاظ الشائعة بين الساميين في الشمال والساميين في الجنوب والتي يرى فيها الأستاذ جيدي أنها لا بد وقد نشأت في وطن الساميين الاول لم يكن من الميسور تتبعها في البقاع القريبة من الفرات ·

ثالثا ـ بلاد العرب الموطن الأصلي للعناصر السامية :

تكاد الغالبية العظمى من المؤرخين وخاصة ثقاة المستشرقين الذين استهوتهم هذه الحقيقة التاريخية يجمعون على أن شبه الجزيرة العربية تعتبر الموطن الأول للعناصر السامية ، فالمستشرق وليام رايت ساسي .W., Wright Sayce يقول « تؤيد التقاليد السامية بصورة قاطعة أن بلاد العرب كانت الوطن الأول للساميين والواقع أنها المنطقة الوحيدة التي ظلت منذ ذلك الحين تحمل الطابع السامي وكذلك تشير الصفات

الجنسية ومظاهر التعصب الديني والأزورار عن مخالطة الأجانب ونظام الحياة البدوية وأشياء أخرى كثيرة أن الساميين قد نشأوا في بيئة صحراوية وان أقرب هذه البيئات الصحراوية لهذه النشأة هي شبه الجزيرة العربية » (٨) ·

أما المستشرق الدكتور سبرنجر Dr.Sprenger فيذكر في كتابه عن جغرافية بلاد العرب القديمة (٩) في اعتقادي أنه يمكن أن تتبع الساميين جميعا الى مواطنهم الأولى في شبه الجزيرة العربية وقد قسموا أنفسهم الى عدد من القبائل والبطون » ·

وكذلك المستشرق كرادر فيرى أن الروايات الدينية والأبحاث اللغوية والأدلة التاريخية والجغرافية تؤيد الرأي القائل أن الوطن الأصلي للساميين هو بلاد العرب (١٠) ·

ثم يأتي المستشرق دى غوية يذهب الى القول بأن الجزيرة العربية كانت الوطن الأول للعناصر السامية وانها هاجرت منه في عشائر مختلفة الى كل من سوريا وبابل وعمان واليمن وهي تدفع أمامها ما تقدمها من موجات الهجرة التي اتجهت نحو كردستان وأرمينية وافريقية (١١) ·

وقد جاء المستشرق هيرين Hearen ليؤكد في مؤلفه عن بحوث تاريخية في التجارة والسياسة القديمة ما ذكره سابقوه من اعتبار بلاد العرب المهد الأصلي للعناصر السامية فيقول « من الواضح أن الأشوريين خرجوا من بلاد العرب الموطن الأول للساميين ولو أنهم غيروا مجرى حياتهم اليومية التقليدي السابق ومارسوا نظاما زراعيا بحتا متأثرين في ذلك بظروف بيئتهم المحلية وأحوالهم وانه لا بد من مضي بعض الوقت قبل أن نستطيع المفاضلة بين مذاهب هؤلاء العلماء المختلفين واختيار أقربها الى الصواب ولكني في الوقت الحاضر أرى ما يراه كرادر Schrader ودي غوية في هذا الموضوع كما اتفق مع ما ذكره وليام رايت في مؤلفه عن قواعد اللغة السامية » (١٢) ·

أما الأستاذ روجرز R. W. Rogers فيذكر عن هذا الموضوع ما يلي :

« لا يمكن أن نقطع برأي محدد عن الوطن الذي خرج منه هؤلاء الغزاة الساميون ولقد اعتقد البعض أنهم أتوا من الشمال الشرقي من خلال ممرات جبال كردستان وان بابل كانت البلاد آلتي شهدت أول ظهورهم كأمة متقدمة ومنها انتشروا في غربي أسيا حيث نشأت منهم دول كبيرة كالعرب والكنعانيون والآراميون · وعلى الرغم من أن هذا الرأي قد لقي تأييدا شديدا في وقت ما الا أن جلة العلماء قد نبذوه

ولم يبق ممن يناصرون هذا الرأي سوى قليل ممن يعتد برأيهم وهناك رأي آخر يذهب الى أن الوطن الأول للساميين كان في افريقية في الشمال الشرقي أو الغربي منها ومن الغفلة أن ننكر أن هناك أدلة لغوية قوية تؤيد ذلك اذ يوجد تشابه واضح بين اللغات السامية من جانب ولغة المصريين القدماء واللغة القبطية ولغات البربر والكوشيين (من البشارين والجلا والصوماليين) .

ولكن مهما قيل من أدلة لتعضيد هذا المذهب فهناك رأي ثالث جدير بالاعتبار يذهب الى أن الوطن الأصلي للساميين كان في بلاد العرب وقد خرجوا منه في موجات متتابعة من الهجرات ليجدوا أرضا أوسع وأكثر غنى في بابل والعراق ومصر وفي أرض كنعان في الغرب ويبدو أن الرأي الأخير تؤيده الحقائق التي أميط اللثام عنها ويلوح لي أنه خير حل لهذه المسائل المعقدة » (١٣) .

وقد كتب المستشرق صمويل لانج Samuel Laing حول هذا الموضوع فقال « يبدو أن المسألة واضحة وضوحا كافيا ومهما في تحديد الموطن الأول للآريين فالموطن الأول للساميين لا بد وأن يكون بلاد العرب لأننا في كل مكان آخر لا نعرفهم الا وافدين من الخارج أو غزاة فاتحين وجدوا شعوبا من أجناس أخرى سبقتهم الا في الجزيرة العربية حيث يبدون وكأنهم السكان الأصليون ولذلك فان التاريخ القديم لكلديا وأشور وتقاليدهم الموروثة تشير الى أن الساميين قد وفدوا من الجنوب اما عن طريق الخليج الفارسي (العربي) عبر صحراء بلاد العرب وسوريا ولذا فنحن لا نعرف غير الساميين فقط في بلاد العرب منذ أقدم العصور » (١٤) .

أما نولدكه ويعتبر أكبر ثقة في هذا الموضوع فقد ذكر في دائرة المعارف البريطانية في حديثه عن اللغات السامية « بعض كبار العلماء يرى أن جزيرة العرب الموطن الأول للجنس السامي وهناك كثير من الأدلة تؤيد هذه النظرية ويحفل التاريخ بأخبار القبائل التي خرجت من جزيرة العرب منذ فجر التاريخ واستقرت بالأراضي الزراعية التي تتاخم صحراء بلاد العرب وقد احترفوا الزراعة واتخذوها نظاما لحياتهم وهناك كثير من الأدلة اللغوية تشير الى أن العبرانيين والآراميين من أصل بدوي والحق أن جزيرة العرب وامتدادها الشمالي في بادية الشام هي الوطن الحقيقي الملائم لشعب بدوي والمفروض أن العرب يمثلون الصفات السامية أصدق تمثيل وان لغتهم أقرب الى الأصل السامي من لغات الأجناس التي تشبههم ونحن نؤيد تأييدا تاما هذه النظرية التي ترى أن جزيرة العرب هي الوطن الأول لكل الشعوب السامية لأنها نظرية جديرة بالتعضيد والتأييد » (١٥) .

وقد ذكر عالم آخر في بحث له عن جزيرة العرب في دائرة المعارف البريطانية « ان جزيرة العرب بلد سكانها ساميون ويذهب بعض العلماء الى أنها كانت الوطن الأول للشعوب السامية ورغم أن هذا الرأي لم يقم عليه الدليل القاطع الا أن الأبحاث اللغوية والأركيولوجية لعلماء الدراسات السامية تشير الى أنه محتمل ومن السهل أن نتخيل كيف تفرقوا من الجزيرة العربية فالهجرة الى بابل من الأمور الميسورة حيث لا توجد حواجز طبيعية تعزلها من شمال شرق بلاد الجزيرة العربية كما حدثت هجرات مماثلة في العصور التاريخية المختلفة ولذلك فان هجرة الآراميين في الأزمنة المبكرة لا تحول دونها أية عقبة طبيعية » (١٦) .

من كل هذه الآراء التي سقناهـا لمعظم المؤرخين المهتمين بالدراسات السامية نرى أن شبه الجزيرة العربية بوجه عـام تعتبر الموطن الأول للعناصر السامية ومنها تسللت الى كثير من البلدان المجاورة فمن طريق بـاب المندب وصلت الى الحبشة والصومال وشمال السودان ومصر وشمال افريقية وعن طريق سواحل الخليج العربي وصلت الى بابل وأرمينيا ومن وسط شبه الجزيرة وصلت الى سوريا وان كان ذلك لا يمنع أن هناك تطعيما ساميا لسوريا من بابل والعكس كما أن كل منطقة الهلال الخصيب لا بد قد زودت مصر وشمالي افريقيا بموجات سامية .

ويمكن أن نلخص الأدلة التي تؤيد وجهة نظر المؤرخين في اعتبار شبه الجزيرة العربية الموطن الأول للعناصر السامية بما يلي

أولا ـ تعد اللغة العربية أقرب اللغات السامية للاتصال السامي الأول .

ثانيا ـ شهادة التاريخ بموجات الهجرات المرحلية التي خرجت من شبه الجزيرة الى البلاد المجاورة .

ثالثا ـ تشابه التركيب الجثماني للعرب بما امتاز به الساميون مـن صفات بيولوجية .

رابعا ـ ان الحياة البدوية التـي يحياها قسم كبير من سكان شبـه الجزيرة الحاليين هي أثر بدائي وقديم للمعيشة عند الساميين .

خامسا ـ تأصيل بعـض العادات السامية القديمة عنـد العرب الحاليين وفي مقدمتها الحرص علـى المرأة والازورار عن مخالطـة الأجانب والتعصب العقيدي والصلابة الفكرية .

سادسا ـ قصر خاصية التشبث بالأرومة السامية على العرب وحدهم دون غيرهم من الشعوب ·

ننتقل بعد ذلك الى الشق الثاني من هذا البحث وصولا من التعميم الى التخصيص وبعد أن طرحنا الأدلة على أصالة شبه الجزيرة العربية في بنوة الشعوب السامية نحب أن نناقش قضية أكثر عمقا ووعورة من سابقتها وما أظن أن هناك كثيرين تصدوا لمناقشتها اكتفاء بنسبة الجنس السامي الى بلاد العرب بوجه عام وهي البحث عن أي أجزاء شبه الجزيرة العربية يمكن أن نعتبره المهد الأصيل للساميين ·

لم يتحدث التاريخ الجاهلي أو الأدب الجاهلي عن الساميين بالتحديد وانما تحدثوا عن العرب البائدة التي بادت واندثرت معالمها وكان التعبير عن هذه العرب البائدة يتمثل في الشعوب العربية القديمة التي انفرد بها القرآن الكريم دون غيره من الكتب السماوية وفي مقدمتها عاد وثمود لدرجة أنهم قسموا عاد الى عاد الأولى وعاد الثانية وكذلك فعلوا بثمود كما تحدث الشعر الجاهلي عن طسم وجديس وهي من الشعوب البائدة التي تناسلت من عماد وثمود وقد حاول بعض المؤرخين من أصحاب السير أن يربطوا بين عاد وبين هدورام التي جاءت في التوراة على اعتبار أن عاد قرنها القرآن الكريم في سورة الفجر بعاد ارم في قوله تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد » غير أن التوراة حين تشير الى هدورام (١٧) تشير الى أنهم من نسل بقطان أو قحطان من العرب العاربة بينما المعروف أن عادا من العرب البائدة وعلى هذا الأساس يكون القرآن الكريم هو الذي انفرد بربط عاد بأرم وهي معجزة الله التي سوف تساعدنا على التدليل بأن النشأة الأولى للساميين كانت في شرق وجنوب شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية » ·

لقد كان اقتران عاد بارم في القرآن الكريم سببا في وقوع كثير من الاخباريين والمفسرين في الخلط بين ارم كاسم علم لأرم بن سام (١٨) وكمدينة اختلفوا حول تحديد مكانها فمنهم من يراها في « تيه أبين » بين عدن وحضرموت ومنهم من يراها في دمشق والاسكندرية (١٩) وقد حاول كل فريق أن يدلل على صحة رأيه وعلى الرغم مما في هذه الأراء الثلاثة من انعدام الأدلة العلمية الصادقة الا انها ان دلت على شيء فانما تدل على صدق ما ذهب اليه المؤرخون من حقيقة الهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية الى الأراضي المحيطة بها ومحاولة بعض المحققين الربط بين عواصم هذه البلاد التي ارتحلوا اليها وبين السامية الأصلية ·

ولكي نصل الى هدفنا من هذا البحث لا بد وأن يتعرف القائل على شي موجز من أمر عاد وحقيقة وجودها التاريخي وبداية نشأة هذا الوجود لأن ذلك سوف يقودنا

بالضرورة الى التعرف عن المنابت الأولى للعناصر السامية ما دام الاجماع على أن عادهم أقدم القبائل العربية البائدة التي تنتسب الى أرم بن سام كما جاء في قوله تعالى « واذكروا (مخاطبا عاد) اذ جعلكم خلفاء من بعد نوح » لفظة عاد لفظة سامية الأصل ثم انتقلت منها الى العبرية والعربية وهي تعني « المرتفع أو الشهير » وتدل لفظتا « أرم » و « سام » على نفس المعنى وقد استخدمت كلمة عاد في التاريخ القديم للدلالة على الذكور وعادة للاناث (٢٠) وقد ودر ذكرها في القرآن الكريم في عشرات الآيات الكريمة نذكر منها على سبيل المثال :

وقوله تعالى « فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة » ·

وقوله تعالى « واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف » (٢١) ·

وقوله تعالى « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » (٢٢) ·

الى غير ذلك من الآيات الكريمة التي نجدها منتشرة في بعض مواضع من السور المكية أما في الشعر الجاهلي فنراها في كثير من القصائد نجتزىء بعضها في الأبيات التالية :

١ ــ لو انني كنت من عاد ومن ارم
ربيت فيهم ولقمان ومن وجدن (٢٣)
٢ ــ لنا الجبلان من أرمان عاد
ومجتمع الالادة والفضاة (٢٤)
٣ ــ الا لا تجزعي وتكذبي
ملائكة من رب عاد وجرهم (٢٥)
٤ ــ أفنين عادا ثم آل محرق
فتركنهم بلدا وما قد جمعوا (٢٦)

وقد درج المؤرخون الكلاسيكيون على ذكر عاد في مؤلفاتهم دائما مقرونة بأرم بن سام فهيرودوث المؤرخ الاغريقي القديم لا يتحدث عن العرب الأقدمين الا بلفظ Adrimitae آدرميتاي وكذلك كان يذكر ثمود وطسم وجديس بل ان كتب السير القديمة كانت تقرن دائما هذه القبائل بارم بن سام فكانت تقول « عادارم » و « ثمودارم » و « طسم ارم » و « جديس ارم » وذلك ينفي تماما فكرة الصاق ارم بأية مدينة من المدن ·

من ذلك كله يتضح لنا حقيقة نسبة عاد الى الأجداد السامية الأولى وانها أقدم الشعوب السامية على الاطلاق التي ذكرها القرآن الكريم والشعر الجاهلي والتاريخ الكلاسيكي غير العربي كما ربط مؤرخو السير عادا دائما بارم بن سام .

أما أدلة بداية عاد السامية في شرق وجنوب شرق الجزيرة العربية فيمكن أن ندلل عليه بما يلي :

أولا ـ ليس هناك بعد القرآن الكريم دليل على صدق هذا الرأي حين يقول في وضوح لا لبس فيه ولا غموض « واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف » والمقصود بالاحقاف هنا الموضع المعروف بين حضرموت واليمن كما أن أخا عاد المقصود في القرآن الكريم هو نبيهم هود ولعل ذلك هو الذي دفع بعض مؤرخي السير الى تصور وجود لأرم في « تيه أبين » بين عدن وحضرموت .

ثانيا ـ ان كثيرا من المحققين يحاولون الربط بين كلمة حضرموت وبين « عادارم » وان المقطع « حصن » هو « حاد » أي عاد وان ارتباط « حاد » « عاد » بالنسبة لأرم هو الذي أدمج بين المقطعين وبمرار الزمن أصبح يطلق عليها حضرموت ويؤيد ذلك الاتجاه ربط القرآن الكريم بين عاد والاحقاف من حضرموت .

ثالثا ـ ان معظم المؤرخين والمستشرقين يذكرون أن الشعوب السامية الاولى بدأت في البلاد الواقعة بين مصب الفرات وجنوب اليمن وعلى سواحل الخليج العربي واذا كانت الهجرات التاريخية قد أثبتت حركات موجاتهم المرحلية في كل اتجاه فليس من المعقول أن يتحدد وجودهم الأصلي بحضرموت والاحقاف وانهم لا بد سكنوا كل هذه المنطقة في وقت ربما كانت فيه الظروف الطبيعية والمناخية تختلف عما هي عليه الآن بدليل أن القرآن الكريم وصف قوتهم المادية والعمرانية وصفا يدل على ما كانوا يتمتعون به من قوة وازدهار اضافة الى اعتبار المؤرخين الكلاسيكيين من اليونان والرومان « آدريتاي » هم سكان الجزيرة العربية بوجه عام .

رابعا ـ على الرغم من أن الأبحاث الاركيولوجية على طول هذه المنطقة لم تنل حتى الآن ما تستحق من دراسة واهتمام فقد أثبتت الأبحاث التي قامت بها بعض البعثات الأجنبية على وجود حفريات لمباني قديمة متعددة الحجرات وأوان نحاسية وبرونزية وجدران لمدن قديمة وأسوار لبعض القلاع وأقبية لمقابر قديمة وغير ذلك من الآثار التي ربما تحدث انقلابا في التاريخ القديم لهذه المناطق كالذي أحدثته الاكتشافات الأثرية القديمة لمصر القديمة اعتبارا من النصف الثاني للقرن التاسع عشر الميلادي .

خامسا ـ ما ذكره المؤرخ الكلاسيكي القديم Josephus في مؤلفه « آثار اليهودية القديمة » من أن الأجناس السامية الأولى كانت تنتشر من الفرات حتى سواحل المحيط الهندي ولا يعني ذلك سوى مناطق شرق وجنوب شرق الجزيرة العربية ويعتبر هذا المؤلف أقدم مؤلف بعد العهد القديم ·

د· عبد الشافي غنيم عبد القادر

المصـــادر

« اولا » العهد القديم القرآن الكريم كتب التراث

« ثانيا » المصادر الأجنبية

1. S. M. Nadvi: The Geographical History of the Kuran.
2. Roger: History of Babylon and Rssuria.
3. Forster: Historical Geography of AsabiaW
4. Bevan: Ancient Geography.
5. Hearen: Historical Oesearches of Ancient Commerce and Politics
6. G. Sale; Introduction to the Translation of the Kuran.
7. W. Wright: Grammer of Semitic Language.
8. Huart: Introduction to History of Arabia.
9. Samuel Laing: Human Origin.
10. Dunker: History of Antiquity.

الهـــوامش

١ - Forster: Historical Geography of Anabia, p. 71.
N. Nadvi: The Geographical History of the Koran pp. 115-118.

٢ - دكتور جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جا ، ص ٢٢٩ ، وجهة نظر قابلة للمناقشة العلمية .

٣ - سفر التكوين ، الاصحاح الحادي عشر ، ص ٢٢١ .

٤ - Nadir: The Geographical History of the Kuran p. 125.

٥ - سفر التكوين ، الاصحاح الحادي عشر ، ص ٢٢١ .

٦ - Nadir: The geographical history of the Karan P. 125.

٧ - جا ، ص ٢٢٩ – ٢٣٠ .

٨ - Sayce: Assyrian Grammer p. 10.

٩ - Sprenger: Geography of Anaunt Arabia, p. 105.

١٠ - Nadir: The geographical History of the Koran, p. 119.

١١ - Ibid; p. 120.

١٢ - Heeren, Historical Researches of lencient Commerce and Politics, vol. 1, p. 292.

١٣ - Rogers, History of Babylon and Ossuria, vol, p. 52.

١٤ - S. Laing: Human Origin, p. 28.

١٥ - Enq — Brit. Vol. XXIV p. 620.

١٦ – Ibid., ool. II p. 263.

١٧ – سورة الفجر : الآية ٦ وما بعدها .

١٨ – سفر التكوين : الآية ٢٦ .

١٩ – كان لسام بن نوح خمسة اولاد هم ارم ولود وارفخشد واشور وعيلام .

٢٠ – سورة ٧ ، آيات ٦٥ وما بعدها .

٢١ – سورة ٩١ ، آية ١٥ .

٢٢ – سورة ٩٦ ، آية ٢١ وما بعدها .

٢٣ – سورة ١١٩ ، آية ٦ وما بعدها .

٢٤ – من شعر صريم بن معشر بن ذهل .

٢٥ – من شعر الطرماح بن حكيم .

٢٦ – ديوان أمية بن ابي الصلت .